



من تاريخ التصوف المغربي(1)
النشاط السياسي لزاوية عبد الرحمن المجذوب


أحمد الوارث*

إن هدفنا من هذا المقال هو محاولة التعرف ، بقدر الإمكان، على النشاط السياسي للشيخ عبد الرحمن المجذوب، وخلفائه في تسيير شؤون زاويته، الواقعة بمدشر بوزيري في بلاد الهبط. ونعني بذلك أساسا تحديد مواقفه، ومواقف خلفه من سياسة أولي الأمر الذين عاصروهم في تسيير شؤون البلاد والعباد، وكذا مواقفهم من القوى التي تنافست، ثم تداولت على العرش، في المغرب، في بداية ما يسمى بالعصر الحديث.

ولا شك أن الكلام عن النشاط السياسي للشيخ عبد الرحمن المجذوب، يعني من بين ما يعنيه ، إلغاء الآراء الشائعة التي تجعل من هذا الرجل بهلولا من البله أو مجذوبا مطبقا، أو سائحا لا يلوي على شيء، غير مبال بنفسه فأحرى بغيره(2). بل يعني هذا الكلام أن عبد الرحمن المجذوب لم يكن صوفيا عاديا، فحسب، وإنما كان له رأي في الحياة السياسية، وأن هذا الرأي كان مسموعا في عصره، الذي تميز، كما هو معلوم، بازدهار التصوف الشاذلي بفرعيه الزروقي والجزولي، من جهة، وتميز من جهة أخرى، بالصراع بين الشرفاء السعديين والوطاسيين حول السلطة في البلاد.

فهل تسعفنا المعلومات المتوفرة للدفاع عن هذه الرؤية ؟

* أستاذ باحث بكلية الآداب – الجديدة

1 . مواقف عبد الرحمن المجذوب من الصراع الوطاسي السعدي :

إننا لا نملك أدلة مباشرة دالة على مواقف الشيخ المجذوب من هذه القضية الهامة، ولكننا لا نعدم بعض الشهادات، التي نود مناقشتها، عسى أن تفيدنا في الوصول إلى رأي مقبول.

1 ـ الشهادة الأولى : هل كان المجذوب على دين شيوخه ؟

لقد تبين لنا من خلال الدراسة التي أنجزناها حول " الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن السادس عشر"(3)، أن مواقف أولياء مملكة فاس الوطاسية برمتهم، ظلت تميل في الغالب الأعم إلى مناصرة الحكم الوطاسي(4)، سواء تعلق الأمر بالجزوليين أو الزروقيين، أو غيرهم من الأولياء والصوفية، وذلك إلى حدود معركة درنة سنة 952هـ / 1545م(5)، أي إلى ما بعد قيام دولة الشرفاء السعديين في الجنوب بحوالي أربعين عاما. وكان من ضمن المناصرين للوطاسيين زمنئذ، شيوخ عبد الرحمن المجذوب. فجميع شيوخه كانوا يعيشون في مملكة فاس الوطاسية، وكلهم اشتهروا بانتمائهم للمخزن الوطاسي سواء تعلق الأمر بالذين صحبهم لمجرد التبرك، أو الذين سلك الطريق على أيديهم وسواء كانوا جزوليين أو زروقيين(6)، فأشهرهم على الإطلاق، وهو الشيخ أبو الحسن علي الصنهاجي الفاسي، المعروف بالدوار (ت.941هـ / 1535م)،الزروقي طريقة، و"الذي تمت على يده ولادة المجذوب الروحانية"(7) بفاس، كان على اتصال دائم بالقصر الملكي وساكنيه، وكلما حضر إلى القصر".... يتلقاه النساء والأولاد فيقبلون يديه وقدميه، فلا يلتفت إلى أحد، ويدفعون إليه الحوائج الرفيعة والذخائر النفيسة، ويلبسه السلطان من أشرف لباسه..."(8). وتعبر هذه الحظوة، بدون شك عن التقدير الكبير الذي تمتع به الشيخ الدوار في الحضرة الإدريسية. ولا غرو، فقد كانت "... ولايته، يقول ابن عسكر، عند أهل فاس قطعية كفلق الصبح... وشأنه عظيم عندهم "(9).

وكان أحد الباحثين قد سبقنا إلى استغلال نفس النصوص للتعبير عن موالاة الشيخ الدوار للسلطة الوطاسية(10)، واعترضه، مثلنا، رأي مخالف اعتمد على نص يفيد عكس ما ذهبنا إليه، مؤداه:"أن الشيخ الصنهاجي ركب يوما على قصبة بقنطرة الصباغين (بفاس)، وفي عنقه قديد لحم، وهو ينادي: اخرجوا يا بني مرين (يقصد الوطاسيين)، والله ما نتركك ببلادنا، وكان ذلك آخر انقراض دولتهم"(11). وقد رد الباحث المذكور على ذلك بأن ما يحول بينه وبين الوثوق بصحة هذه الرواية تأكيد ابن عسكر على عدم طروء أي تغيير سلبي على علاقة الشيخ الدوار الصنهاجي الحسنة بالسلطة الوطاسية (12). ونضيف هنا أن سوء التفاهم بين أولياء فاس، ومنهم الدّوار، حول قضايا شائكة، وما أكثرها في الزمن الوطاسي، وفي مقدمتها مسألة الجهاد، لا يقيم دليلا كافيا على حدوث القطيعة التامة بين الطرفين. ويكفي علمنا أن

العلاقة بينهما استمرت قائمة إلى غاية انقضاء أجل الشيخ، حيث "...حضر السلطان (الوطاسي) والفقهاء وغيرهم جنازته"(13).

أما ثاني أشهر شيوخ المجذوب فهو أبو حفص عمر الخطاب (ت. بعد 943هـ/1536م)، دفين جبل زرهون. بل كان هو آخر شيوخه، وعلى يده "كمل حاله وأنهي أمره"، وهو الذي "أشار على المجذوب سكنى بلاد الهبط"(14). وكان الشيخ عمر الخطاب الزرهوني جزولي الطريقة، على عكس الشيخ الدوّار، الذي كان زروقيا. لكنه كان يتمتع، مثله، بوجاهة عظيمة عند الأمراء الوطاسيين، ومن أشد المناصرين لسلاطين فاس. وحجتنا على ذلك حضوره ضمن الوفد الذي مثل وطاسيي فاس في مفاوضات الصلح مع الشرفاء السعديين عقب معركة (بوعقبة) سنة 943هـ / 1536م)(15).

وفي هذا الصدد تروي المصادر التي ترجمت لهذا الولي الجزولي قصة طريفة مفادها أن الوفد الوطاسي المتفاوض مع الشرفاء السعديين، وجد في خصومه"(...) شدة وغلظة وامتناعا عن مساعفتهم على ما أرادوا من الصلح بين الطرفين والتراضي على قسمة البلاد، فحلف الشيخ عمر الخطاب لا دخلوها، يعني فاسا، فيما يظهر، ما دمت على وجه الأرض، فما دخلوها حتى مات بعد مدة"(16).

ولا داعي للجزم بصحة هذه الرواية، بكل تفاصيلها، أو نفيها نفيا مطلقا لأن المهم بالنسبة إلينا أن خلاصتها العامة تتوافق مع ما ذهب إليه ابن عسكر في حديثه بدوحة الناشر عن وجاهة عمر الخطاب لدى الأمراء الوطاسيين، من جهة كما تتوافق مع الرواية الشائعة التي تناقلتها مختلف المصادر، على لسان بعضهم "... لو أن بني مرين (يعني بني وطاس) كانوا يعرفون شيئا ما دفنوا سيدي عمر الخطاب، يعني لتركوه في تابوت على وجه الأرض"(17).

وبناء عليه، يمكن القول بأن الشيخ عمر الخطاب الزرهوني، وهو جزولي الطريقة، كان وطاسي الانتماء، وأنه ظل كذلك إلى أن لقي ربه، مثله في ذلك مثل الشيخ أبي الحسن علي الصنهاجي الدوّار، وهو من الزروقيين، كما ذكرنا. وما قلناه عن هذين الشيخين من شيوخ عبد الرحمن المجذوب ينطبق على الولي المجذوب السالك أبي العباس أحمد العبدلي المدعو بوالرواين(18) (ت.967هـ / 1556م) والشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشترائي(19) (ت. 963هـ / 1549م)، دفيني مكناس، وهما معا جزوليان، وغيرهما من شيوخ عبد الرحمن المجذوب، سواء كانوا جزوليين أو زروقيين. كما ينطبق الحكم نفسه على سائر شيوخ الزوايا وأرباب الربط ومتصوفة مملكة فاس، حتى لنستطيع القول، بدون أدنى تردد، بأن العامل الذي تحكم في تحديد مواقفهم السياسية، من الوطاسيين والشرفاء السعديين هو وجودهم ووجود زواياهم، إن لم نقل وجود مصالحهم ومصالح زواياهم في هذه المملكة. هذا هو رأينا، ونأخذ به في تعليل تلك المواقف، وذلك إلى حدود معركة درنة، التي وقعت بين الوطاسيين والشرفاء السعديين سنة 952هـ / 1545م.

لكن لماذا هذا التحديد ؟

لأن جميع شيوخ عبد الرحمن المجذوب، بل كل أولياء مملكة فاس الوطاسية، الذين توفوا قبل هذا التاريخ توفوا على ولائهم لبني وطاس، في حين اختلفت آراء الذين تجاوزت أعمارهم ذلك الحدث، ولو بوقت وجيز. لكن ما طبيعة هذا الاختلاف ؟

تمهيدا للجواب، يجب أن نستحضر بأنه في معركة درنة، انهزم الوطاسيون أمام قوات الشريف محمد الشيخ السعدي، ووقع السلطان أحمد الوطاسي في الأسر. ويذكر في أعقاب هذا الحدث أن إحساس حكام فاس بالعجز عن التصدي للشرفاء السعديين، جعلهم يستنجدون بالعثمانيين في الجزائر، ويقبلون التبعية لهم، في مقابل مساعدتهم على مواجهة الخصوم(20).

وانطلاقا من هذا التوجه تحددت استراتيجية الاختيارات السياسية لأولياء مملكة فاس، بدرجة توافق أو تناقض مصالحهم مع الخلافة العثمانية الراغبة بدورها في مد نفوذها إلى المغرب الأقصى. وهكذا، وبينما بارك الزروقيون في مملكة فاس(21)، خطوات الوطاسيين، واستمروا في تحالفهم معهم، عارضها الجزوليون وسارعوا إلى التحالف مع الحركة السعدية المتنامية في الجنوب، والمناهضة للعثمانيين والوطاسيين على حد سواء(22).

وهذا الموقف الزروقي طبيعي جدا، بحكم الصلة الوثيقة التي تربطهم بزروقيي الجزائر، حلفاء العثمانيين الأوفياء. إذ من المعروف أن جميع الزروقيين المغاربة، لهذا العهد، ينتهي سندهم الصوفي إلى الشيخ أحمد بن يوسف الملياني دفين مليانة بالجزائر، أو إلى رفاقه الجزائريين، الذين أخذوا طريق القوم على يد الشيخ المؤسس للطريقة الزروقية، أحمد بن أحمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق(23).

وهذا الارتباط بين أولياء الطائفة الزروقية بالمغرب الوطاسي ورفاقهم بالجزائر العثمانية تقابله العناية التي أولاها القطب الملياني بالخصوص للمغرب ولا سيما منه مملكة فاس الوطاسية. وشاهد ذلك الرسائل التي ما انفك يبعث بها إلى تلامذته، وغيرهم من فقهاء وعلماء وعامة الحواضر والبوادي، ومن بينها فاس العاصمة الوطاسية، من جهة، وزيارته لهذه المدينة نفسها، من جهة أخرى(24) علاوة على الزيارة التي قام بها الشيخ محمد الخروبي، أحد كبار رفاق الشيخ الملياني، المتوفى سنة 930هـ / 24 – 1525م، للمغرب، في "...أيام السلطان أحمد بن محمد الوطاسي"(25)، مما يؤكد، ولاشك، الصلة القائمة بين زروقيي الجزائر وزروقيي المغرب الوطاسي.

ومن جهة أخرى، تذكر المصادر أن الشيخ الملياني وأتباعه ورفاقه من الصوفية في الجزائر، رحبوا بالأتراك وقدموا لهم يد المساعدة، وأصبحوا، بالتالي من كبار رجالاتهم وأشدهم إخلاصا. وقد شكر لهم الأتراك العثمانيون هذا الصنيع

فخصوهم بامتيازات مهمة، إذ أعفوهم من الضرائب والكلف المخزنية، وأنعموا عليهم بإقطاعات شاسعة (26).

ويجعلنا هذا المعطى نفترض بأن زروقيي الجزائر المرتبطين روحيا بزروقيي مملكة فاس الوطاسية، وسياسيا بأتراك الجزائر، قد أثروا على الموقف السياسي لزروقيي المغرب الوطاسي. وإذا أضفنا إلى ذلك إعلان الوطاسيين، أمام ضغط الشرفاء السعديين، عن تبعيتهم للخلافة العثمانية، وهم، كما علمنا، من أشد حلفاء زروقيي مملكتهم، نستطيع أن نفهم لماذا اختار هؤلاء الزروقيون التشبث ببيعتهم لبني وطاس، والقتال من أجل نصرتهم، في صراعهم مع الشرفاء السعديين القادمين من جنوب المغرب. ومعناه أن زروقيي مملكة فاس أصبح هواهم، في لعبة السياسة، زمنئذ عثمانيا، على دين ملوكهم من بني وطاس. هذا إذا لم نقل بأن زروقيي مملكة فاس الوطاسية كان لهم دور ما في الدفع ببني وطاس إلى اختيار ذلك المنحى، تحت تأثير التحالف الزروقي – العثماني بالجزائر(27).

ومن باب تحصيل الحاصل القول بأن هذا التحالف الثلاثي (العثماني – الوطاسي– الزروقي في الجزائر ومملكة فاس الوطاسية) كان موجها ضد الشرفاء السعديين، وأن تحقيق الهدف المنشود، الذي هو إضعاف شوكة الحركة السعدية المتنامية، سيعزز النفوذ العثماني في المغرب، كما سيعزز نفوذ الطائفة الزروقية على حساب باقي الطوائف الصوفية، ونخص بالذكر هنا الجزوليين.

وبناء عليه، لم يجد الزروقيون، في مملكة فاس، غضاضة في مباركة خطوات الوطاسيين، بينما لم يخف الجزوليون تخوفهم من نتائج التحالف، ولم يترددوا في قلب ظهر المجن لبني وطاس، كما لم يتوانوا في المسارعة إلى تعضيد جانب الشرفاء السعديين. بل لعله ليس غريبا أن يحدث هذا الانقسام في صفوف حلفاء الوطاسيين بدءا من معركة درنة سنة 952هـ / 1545م ، التاريخ الذي بدأ فيه اتصال الوطاسيين بالعثمانيين، كما قلنا.

وهكذا نصل إلى الخلاصة التي بحثنا عنها في هذا النقاش وهي أن شيوخ عبد الرحمن المجذوب صاروا منقسمين على أنفسهم في الرأي السياسي، لأن بعضهم كان جزوليا في السند أو النحلة أو فيهما معا، وبعضهم كان زروقيا في ذلك كله أو في بعضه. وإذا كان الأمر كذلك، فأي منحى اتخذه الشيخ المجذوب ؟ هل عاضد الوطاسيين، باعتباره زروقي النحلة والسند ؟

هذا هو رأينا بالفعل. ونسجل هذا الرأي لأننا نملك شهادات أخرى تعضده.

2 ـ الشهادة الثانية : رباعيات المجذوب :

كان بعض الباحثين، قد خلص إلى نفس الرأي، ولكنه اعتمد على سند آخر هو الرباعيات المنسوبة إلى الشيخ عبد الرحمن المجذوب، وقال :"والظاهر أن الشيخ عبد الرحمن المجذوب، كان يساند بني وطاس، حيث إن الكثير من

الرباعيات المنسوبة إليه، في هذا الموضوع، تدل على أنه لم يكن راضيا على السعديين ولا على أهل سوس"(28).

والحقيقة أنني أتحفظ كثيرا في الاستناد إلى ذلك التراث المنسوب إلى الشيخ المجذوب، سوى إذا تعلق الأمر بالرباعيات الصوفية التي أوردها تلامذته أنفسهم في دفاترهم، ولا سيما منهم أبناء أبي المحاسن الفاسي، كبير تلامذة المجذوب. أما غيرها فهو في ظني منحول، لأن الناس، كما قال عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي، "كلما رأوه من الكلام على وزن كلامه نسبوه إليه فخلطوا فيه كثيرا..."(29).

ولذلك فإننا إذ نستعين ببعض تلك الرباعيات لإبراز مواقف عبد الرحمن المجذوب، فإننا نفعل ذلك من باب الاستئناس ليس إلا، خشية أن تكون من صنف "ما نسبوه إليه فخلطوا فيه...". كما أننا نستعين بها لأن ما ورد فيها يزكي ويدعم ما خلصنا إليه بخصوص انتمائه إلى المخزن الوطاسي، انطلاقا من انتمائه الصوفي.

ومما ينسب إليه في هذا الصدد من رباعيات :

مراكش مبدي الهم   سلا والرباط هما فراشو
مكناس يجري بالدم   فاس يا من بغا معاشو
الحوز طجين حامي   وفي اللحم طاروا شقوفو
واللي يكذب كلام المجذوب مازال يشوفو
الخيل أدك من القبلة   والحيح يقوم من سوس
الشبكة منصوبة فالزبلة   ما يفلتش منها الناموس(30)

والواضح أن صاحب (؟) الرباعيات صور حالة بلاد المغرب الأقصى فرأى أن شمالها، وخصوصا فاس، أرض الأمن والرخاء. أما جنوبها (مراكش الحوز ، سوس ، القبلة أي الجنوب)، فإنه مكمن للشر، والهم، و"الحيح"، والخيل المثيرة للرعب، والخطر الذي راح يهدد الشمال وأهله، بل الجميع بما في ذلك حشرة الناموس. وإذا علمنا أن الشمال كان تابعا للوطاسيين، وأن الجنوب كان تابعا للشرفاء السعديين، بدءا من 930هـ / 23 – 1524م، فمن تحصيل الحاصل القول بأن صاحب الرباعيات كان مواليا لبني وطاس. بل نستطيع القول إن هذه الرباعيات كتبها صاحبها بُعَيْدَ معركة درنة، التي كان من نتائجها دخول السعديين إلى مكناس.

ومما يؤكد هذا الزعم أن الشاعر، لما تحدث عن الحضرة الإسماعيلية، قال "إنها تجري بالدم". ولعله يقصد ما سببه انتقام الشرفاء السعديين من أنصار بني وطاس، أو ما جرى في مكناس من تقاتل بين أولئك الأنصار وقوات الشرفاء السعديين، التي اقتحمت أسوار المدينة في عام 954هـ / 20 غشت 1547م، بعد انسحاب الوطاسيين، بمقتضى صلح درنة، كما هو معروف(31). فقول الشاعر: إن

مكناس تجري بالدم، يعني، ولاشك، أن السعديين و"الــدم" شــيئان متلازمــان. ولا غرو، فقد كانت في نظره، قبلئذ، عامرة وآمنة، بل اعتبرها الحد الفاصل بين مجــال آمن، وآخر خال، كما في قوله:

ركبته على جبل صرصـر * ورميته عيني تتسارى

شفته الغربه خالـي يصفـر * مكنـاس حـد العمــارة(32)

وكأننا بالشاعر، يعبر عما خلفه زحف القوات السعدية من خراب ودمـــار في المناطق التي سيطروا عليها. ويبدو أن هذا الشاعر كان ســـاخطا جــدا علــى القادمين الجدد على مكناسة، مناصرا لأهلها ولأهل فاس، وملوكــهم. ويبــدو ذلــك واضحا أكثر من قوله :

مراكـــش مبـدي الهـو * ســلا والربـاط همـا فراشـو

مكنـاس يجـري بالـدم * فـاس يا مـن بغـا معاشـــو

شفته الغربه خالي يصفـر * مكنـــاس حـــد العمــارة

فـاس ما يـنـدخـــل * لو يـدور بـه جنـاس النصارة(33)

إنه موقف صريح ، ولاشك، من قبل الشاعر، إزاء القوتين المتصـــارعتين في البلاد، ودعاية مكشوفة لفاس وملوكها. وهو موقـــف يذكرنـــا بموقــف عمــر الخطاب، كبير شيوخ عبد الرحمن المجذوب، الذي أقسم علـــى الســـعديين بـــأن لا يدخلوا فاس ما دام على وجه الأرض.

وإذ بر عمر الخطاب في قسمه، فإن صاحب الرباعيات عـــاين الشــرفاء السعديين وهم يقتحمون العاصمة الوطاسية. ويبدو أنه أصيب بصدمة عنيفة، وكأنـــه لم يصدق ما حدث، ثم قال :

يـا الزمـــان يـا الغـــدار * يا كاسرنـــي مـن دراعـــي

طيحته من كـان بوه سلطـان * وركبته من كان بـوه راعـي (34)

وفي ذلك دليل كاف على أن صاحب الرباعيات كان وطاسيا فـــي أهوائـــه السياسية. لكن هل صاحبها هو عبد الرحمن المجذوب، حقا ؟

مهما كان الأمر فالذي نسبها إليه كان يدرك إدراكا تاما بأن عبـــد الرحمـــن المجذوب كان يوالي الوطاسيين بشدة. ويؤكد هـــذا وذاك مصـــير عبـــد الرحمـــن المجذوب بعد نكبة حلفائه من بني وطاس، كما سنرى في الشهادة الثالثة.

الشهادة الثالثة : موقف السلطة الجديدة من المجذوب:

معلوم أن الشرفاء السعديين دخلوا فاس ، في المرة الأولى، بقيادة الشـــريف محمد الشيخ عام 956هـــ / 1549م. لكن هذا الأخير اضطر إلى إخلائها سنة 961هـــ / 1554م، أمام زحف قوات أبي حسون الوطاسي العائد من الجزائر، بدعم قوي مـــن

الأتراك العثمانيين. وبعد هزيمة أبي حسون، عاد الشريف محمد الشيخ، فدخل فاس ثانية، في نفس العام.

والهدف من هذا الكلام هو أن نشير إلى أن الشريف محمد الشيخ السعدي تجنب في دخلته الأولى لفاس، الإساءة إلى أنصار الوطاسيين من الفقهاء أو الصوفية(35) ، وأنه حاول استمالتهم بشتى السبل، دون أن يفلح في ذلك(36). حتى إذا عاد أبو حسون الوطاسي، كان فقهاء وزروقيو فاس وباديتها، على رأس المستقبلين له، وعادوا بالتالي إلى وظائفهم، وأنشطتهم المعادية للشرفاء السعديين. ومن ثم، لما رجع الشريف محمد الشيخ إلى فاس في دخلته الثانية والنهائية، لم يقنع بتشريد من ظل على قيد الحياة من بني وطاس، وإنما امتدت يده هذه المرة، إلى الشخصيات الدينية الموالية لبني وطاس، والتي كان أهملها في دخلته الأولى لفاس، فلم تزدد إلا بغضا له، وتحريضا للناس في مملكة فاس ضده. ولنا الحجة على تغير موقف الشريف محمد الشيخ في الشدة التي عامل بها أولئك المعارضين، كما فعل مع الشيخ عبد الوهاب الزقاق،"(...) حيث أمر به أن يجلد بالسياط، ثم أمر أن يقطع رأسه بشاقور فقطع"(37) ، وكما فعل مع زعيم المعارضة بمكناسة أبي الحسن علي بن أحمد حرزوز"(...) الذي قتله (السلطان) هو وابنه، وعلقا على باب داره"(38) وكما فعل كذلك مع أولاد عبد الله الخياط الذين اضطروا إلى إخلاء زاويتهم في جبل زرهون(39)، وغيرهم من أتباع الطريقة الزروقية بمملكة فاس، والمتعاطفين معهم من أنصار بني وطاس، الذين نشطوا في تأليب الناس ضد الشريف محمد الشيخ السعدي ، فنكبوا أو شردوا...

لكن ماذا عن عبد الرحمن المجذوب ؟

لا يرد في المصادر نص يشير صراحة إلى امتحان الشيخ المجذوب من قبل الشريف السعدي المذكور، سواء إبان صراعه مع بني وطاس حول فاس، أو إبان امتحانه لسائر شيوخ زوايا الشمال عندما طالبهم بودائع بني وطاس، أو عندما فرض ضريبة النايبة على كافة أرباب الزوايا، أو في غير هذا وذاك من الفترات الحرجة التي اعتورت علاقة هذا السلطان بالأولياء والصوفية وأرباب الربط والزوايا.

فهل يعني هذا أن هذا الرجل عاش عيشة راضية في ظل الحكم الجديد ؟

بلى ، ونسجل هذا الجواب ، لأن عبد الرحمن المجذوب تعرض لمضايقات شديدة من طرف الشرفاء السعديين، الأمر الذي يفيد وقوفه في صفوف المعارضين لهم.

وتتجلى مظاهر هذه المضايقات في قضيتين اثنتين :

أولاهما : الإهانات المتكررة التي أصبح الشيخ المجذوب عرضة لها من طرف عمال الشرفاء السعديين بمنطقة الغرب، والتي بلغت حد ضربه(40)، ومحاكمة من

يقتدي به في حضرة السلطان عبد الله الغالب بالله، في مدينة فاس فـــي ذي القعـــدة 974هـــ / 1566م(41)

ثانيا: انطواء الشيخ المجذوب على نفسه كثيرا بزاويته، بعد أن آلت أمـــور البـــلاد للشرفاء السعديين. ويظهر أن هذا الانطواء كان من اختيار المجذوب نفســـه، لكنـــه اختيار ينسجم والمضايقات التي تعرض لها، لأنه ليس هناك مبرر مقبول يجعل وليـــا نشيطا صوفيا وسياسيا يتحول إلى ولي خامل، ويدعو إلى الخمول، كما في قوله :

احفر لسـرك وحكـو * في لرض سبعين قامة

وخلي الخلايق ايشكو * إلى يـوم القيامـــة (42)

الخمـول كل نعمـة * والنفوس كلما تأبـاه

والظهـور كل نقمـة * والنفوس كلما تهـواه (43)

وتشير، هذه الرباعيات، كما علمنا سلفا، إلى مبدأ هام من مبـــادئ الطائفـــة الملامتية، وهو عدم الظهور بالأحوال أو الأعمال أو العلوم أو الكرامات(44) ، ممـــا يجعلنا نتساءل عما إذا كانت هناك علاقة بين اعتناق عبد الرحمن المجذوب للمذهب الملامتي الانطوائي، وبين متاعبه بعد فشل ريح حلفائه من بني وطاس، وانتصـــار الشرفاء السعديين.

ومهما كان الأمر، فالأكيد أن شعبية عبد الرحمن المجذوب، تراجعت كثـيرا في ظل دولة الشرفاء السعديين. ولعل للانطوائية دورها في ذلك الـتراجع. نســـجل هذه الملاحظة الهامة، ونحن نستحضر رواية طريفة أوردها صاحب ابتهاج القلـوب بمناسبة حديثه عن وفاة الشيخ المجذوب، وعن وصول جثمانه إلى مدينـــة مكنـــاس ليدفن بها، مع العلم أنه توفي سنة 976هـــ / 1568م، زمن السلطان عبد الله الغـــالب بالله ، أي بعد سقوط الدولة الوطاسية بخمس عشرة سنة. ونص المحتاج مـــن تلـــك الرواية، قوله:"(...) حدثني بعض من حضر مسجدا هنالـــك، فنـــادى رجـــل فـــي الناس: الصلاة على الجنازة يرحمكم الله، جنازة رجل مغربي، يقال له عبد الرحمـــن المجذوب، فصلى عليها من هنالك ودفنت"(45).

فأين نحن من أخبار الازدحام الغريب، والتهافت على النعش، والتقاتل علـــى الكفن، كلما تعلق الأمر بجنازة ولي من الأولياء، ولاسيما في أيام عبـــد الرحمـــن المجذوب نفسه ؟ أليس في الأمر سر مكنون ؟

ثم ، ألا تعني هذه الخلاصة، وخلاصتا الشهادتين السابقتين أن عبد الرحمـــن المجذوب كان هواه السياسي وطاسيا، وأنه صار، من جراء ذلك، مغضوبـــا عليـــه ومنبوذا بعد انتصار الأشراف السعديين ؟

إننا نعتقد ذلك فعلا. كما نعتقد أنه عانى الشدائد من أجل أن تبقـــى زاويتـــه قائمة. وإذ نجح في هذا المسعى، فإنه ورثته، الذين ورثوا عنه الزاوية، ولم يرثـــوا

الانطوائية، على ما يبدو، سرعان ما اصطدموا، بسلاطين الأشراف السعديين وكان الاصطدام هذه المرة قويا.

II. الاصطدام ونكبة الزاوية :

حدث الاصطدام زمن أحمد المنصور (1578 – 1603م)، أخي الغالب بالله. وفي هذا الصدد روى صاحب فتح التأييد، بمناسبة حديثه عن ثورة الناصر بن الغالب بالله(46) على عمه المنصور، خبرا هاما جاء فيه:"(...) لما قتل جل من كان مع الناصر، وفر من فر من القتل لشواهق الجبال (بغمارة والريف)، فاجتمع لزاوية الوالد(47)، جم غفير (...) فضاق الأمير (أحمد المنصور) على فساد ملكه وذهاب سلطانه، فنظر في قواده، فلم يجد أشد بطشا، ولا أحدّ شوكة من قائده حمرية فوجهه في جيش عظيم لهذه النواحي، فجعل يسفك الدماء(...) حتى بلغ لقبيلة مصمودة المجاورة لقبيلة إزاجن ، وأخذ فيها زاوية الولي الصالح سيدي عبد الرحمن المجذوب، وفعل فيها الأفاعيل، وكانت الناس تتحدث أنه يصبح أو يمسي على زاوية سيدي محمد بن علي بن ريسون..."(48).

وأحرى شيء يلاحظ في هذا النص هو نكبة زاوية عبد الرحمن المجذوب وامتحان أهلها، من طرف قوات السلطان أحمد المنصور، في سياق حربها مع أتباع وأنصار الأمير الناصر بن عبد الله الغالب. وقد جاء الهجوم على زاوية عبد الرحمن المجذوب كرد فعل، ولاشك، من جيوش المنصور، إزاء تواطؤ أبناء الشيخ المجذوب مع جيوش الأمير الثائر.

ولم يكن ورثة عبد الرحمن المجذوب وحدهم الذين استهوتهم ثورة الناصر بقدر ما لقيت، في وقت وجيز(49)، مساندة شعبية واسعة جدا، مكنتها من كسب تأييد قبائل كثيرة، في منطقة مليلية وأحوازها، وتازة ونواحيها، وبادية فاس الشمالية والشرقية، وخصوصا منها الريف وغمارة وجبالة(50). هذا علاوة على الصدى الكبير الذي خلفته الثورة في مختلف الأرجاء، من "مملكة فاس"، حتى لقد "... اهتز كل شيء بقيام مولاي الناصر" فيها، حسب قول الوفراني(51). وكان على رأس المناصرين للثورة كثير من الصوفية، وأرباب الزوايا، نذكر منهم، على الخصوص، بالإضافة إلى شيوخ زاوية عبد الرحمن المجذوب، أبا عبد الله امحمد بن علي ابن ريسون، كبير الزاوية الريسونية(52)، وكذا شيخ زاوية بني جرفط بغمارة(53)، والشيخ أحمد بن أبي القاسم الزمراني، نزيل الصومعة بتادلا(54) وغيرهم. دون أن ننسى أرباب الزوايا الذين ظلوا مترددين في مواقفهم، إيمانا منهم بتفوق الآلة العسكرية التي جندها المنصور، أو ربما خشية من المصير الذي تعرض له رفاقهم الذين ناصروا ثورة الناصر. ولعل أشهر هؤلاء هو الشيخ بوعبيد الشرقي، ولي الزاوية الشرقاوية في بوجعد(55).

ولعل القاسم المشترك بين جميع أرباب الزوايا الذيـــن نـــاصروا النـــاصر صراحة أو تلميحا، هو كونهم جميعا من أولياء البوادي في مملكة فاس، على عكـس أولياء عاصمتها، وغيرها من المدن، الذين ظلوا متشبثين ببيعتهم للســلطان أحمـد المنصور. ويؤكد قولنا هذا ما ذهب إليه أستاذنا محمد مزين، عندمـــا فســر ثــورة الناصر برد فعل سكان البادية إزاء مدينة فاس، أو بالأحرى إزاء الحكم المركـــزي الذي تمثله هذه المدينة في شمال البلاد، موضحا بحجج قيمة، تحـــالف "...المدينـة والسلطة المركزية لمواجهة القبائل المجاورة لها، والمتحالفة مع الناصر"(56).

وإذا كان لهذه المفارقة بين المدينة والبادية من معنى، فإنه يتمثل، ولاشـــك في أن هذه الأخيرة كانت هي المتضررة من سياسة السلطان أحمد المنصـــور فـــي إدارة البلاد، مما جعل أهلها يعلنون عصيانهم، بانضمامهم إلى الأمير الثائر. وهـــذا بالضبط ما عبر عنه المؤرخ المجهول، في حديثه عن المنصور قائلا : (...) كـــان كثير الجور والجوار فسدت في أيامه البوادي، وصلح أهل الحواضر والجيـش"(57). فهل يمكن القول بأن سبب استياء الفلاحين هو السياسة الضرائبيـــة القاســية، التـــي طبقها المنصور، كما هو مشهور ؟(58).

المهم في الأمر ، أن شـــيوخ زاوية عبد الرحمن المجذوب كانوا على رأس المستائـــين، ومن ثم لم يتوانوا في مناصرة الأمير الناصر، كغيرهم مـــن شـيوخ الزوايا في المناطق المذكورة، أملا في عهد جديد، وسياسة جديدة، تتحسن بفضلـــها أحوال الفلاحين، وأهل البادية عموما. غير أن انتصار المنصور على منافسه جعـــل شيوخ تلـــك الزاوية، ومـــن حذا حـــذوهم، يتعرضون للنكبة. وكانت نكبة أهـــل عبد الرحمن الـــمجذوب شديدة، يفسرها غموض تاريخ عائلتهم، وتـــاريخ زاويتـــهم منذ ذلك العهد.

الهوامـش :

1) – تعتبر هذه المقالة تتمة لما نشرناه بالاشتراك مع سعيدة الأشهب، تحت عنوان :"عبد الرحمن المجذوب، شخصيته وآثاره وتاريخ زاويته"، مجلة كلية الآداب ، الجديدة، (العدد الأول، 1993) ، ص. 93 – 132.

2) – راجع التفاصيل بنفس المقالة.

3) – رسالة جامعية في التاريخ ، 1988، مرقونة، خزانة كلية الآداب، كلية الآداب، فاس / ظهر المهراز.

4) – راجع التفاصيل، في نفس المرجع، ج.2 ، ص.585 وما بعدها.

5) – نفسه ، ج.2 ، ص. 595 – 607.

6) – أخذ عبد الرحمن المجذوب طريق القوم عن عدة شيوخ من كبار الصوفية، سالكين ومجـــاذيب، وممـــن جمع بين السلوك والجذب، أشهرهم: الشيخ أبو الحسن علي الصنهاجي المعروف بالدوار، دفيـــن فـــاس، وهـــو زروقي

السند، والشيخ أبو حفص عمر الخطاب، دفين جبل زرهون، والشيخ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشترائي، دفين مكناس، والشيخ أبو العباس أحمد العبدلي المدعو بوالرواين، دفين مكناس كذلك، وهم جميعا جزوليو السند. لكنه إنما انتسب للأول منهم. راجع التفاصيل عند: أحمد الوارث وسعيدة الأشهب،" عبد الرحمن المجذوب..."، مقالة سابقة ، ص. 93 – 132. ومعلوم أن الزروقيين هم الذين تصنفهم بعض الكتابات الأجنبية، خطأ، ضمن الطائفة القادرية، وترى أنهم كانوا يناصرون المخزن الوطاسي عكس الشاذليين، الذين ناصروا الشرفاء السعديين. راجع مثلا :

A.Bel, La Religion musulman en bérbérie..., Paris, 1938, p. 387.

وسنرى أن هذا التقسيم بدوره مجانب للصواب.

7) — محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، (م.خ.ع. ، الرباط، رقم 1006ك)، ص. 101.

8) — محمد بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر (تحقيق محمد حجي، طبعة دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، 1396هـ / 1976م)، ص. 81.

9) — نفس المصدر ، ص. 81.

10) — عبد الله نجمي ، "من تاريخ التصوف المغربي : الملامتية"، مجلة تاريخ المغرب، (العدد الأول ، السنة الأولى، ربيع الثاني 1394هـ / فبراير 1981م) ص. 54 ، هامش 119.

11) — عبد الرحمن الفاسي، ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب، (م.خ.ع. ، الرباط ، رقم 326 ك) ، ص. 47. — محمد الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مكتبة الطالب، الرباط، دون تاريخ، ص. 29. وهذان المؤرخان متأخران عن زمن ابن عسكر، الذي أورد عكس هذا الرأي.

12) — عبد الله نجمي، " من تاريخ التصوف المغربي: الملامتية"، ... مقالة سابقة، ص. 54، هامش 119.

13) — محمد بن عسكر، دوحة الناشر... مصدر سابق، ص. 81.

14) — عبد الرحمن الفاسي ، ابتهاج...، مصدر سابق ، ص. 47.

15) — وقعت المعركة بين الوطاسيين بزعامة السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي، والشرفاء السعديين بقيادة الأخوين أبي العباس أحمد الأعرج وأبي عبد الله محمد ابني محمد القائم بأمر الله. وهي ثالث معركة كبرى وقعت بين الطرفين السعدي والوطاسي، بعد حصار مراكش سنة 1527م، ومعركة أنماي سنة 1529م. وقد انتهت معركة بوعقبة بهزيمة الوطاسيين. راجع: محمد الوفراني ، نزهة الحادي... مصدر سابق، ص. 20.

16) — محمد المهدي الفاسي ، ممتع...، مصدر سابق، ص.49.

17) — نفس المصدر. وراجع أيضا : — احمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مطبعة دار الكتاب، البيضاء 1954، ج.4 ، ص.15.

18) — وحجتنا على ذلك وجوده إلى جانب الشيخ عمر الخطاب الزرهوني المذكور ضمن الوفد الذي مثل بني وطاس في المفاوضات مع الشرفاء السعديين، التي تخللت معركة بوعقبة (م. الوفراني ، نزهة...، مصدر سابق ، ص. 20)، زيادة على إقحام المصادر للشيخ نفسه في حادث إجلاء أمراء بني عبد الحميد العروسيين عن القصر الكبير، وتعيين أمير وطاسي مكانهم. فقد ورد في المصادر أن الشيخ أبا الرواين "جاء إلى القصر وصاحبه يومئذ القائد عبد الواحد العروسي، فصعد أبو الرواين صومعة المسجد، ثم نادى بأعلى صوته: يا بني عبد الحميد اشتروا مني القصر، وإلا خرجتم منه في هذه السنة. فسمع القائد عبد الواحد ذلك، فقال إن كان القصر له أو بيده فلينتزعه منا، ما بقي إلا كلام الحمقى نلتفت إليه. ومن الغد خرج الشيخ أبو الرواين من البلد، وهو يقول: القائد عبد الواحد وأهله يخرجون من القصر ولا يعودون إليه..." (م. ابن عسكر، دوحة الناشر...، مصدر سابق، ص.88). وقد تم بالفعل إجلاء القائد العروسي عن القصر، وعين بدلا منه "... الأمير أبو زكريا يحيى بن السلطان محمد البرتغالي، وهو أخو ملك فاس إذ ذاك وما إليها، السلطان أبي العباس أحمد" (محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسن، طبعة حجرية بفاس ، 1234هـ، ص. 34. وقد ظل أبو زكرياء عاملا على المدينة إلى أن أسر" (...) في وقعة درنا على بني وطاس في رجب 952هـ / 1545م ومات في تلك الليالي القريبة منها غما وأسفا..."(نفس المصدر).

19) — لقد كانت للشيخ أبي عثمان سعيد المشترائي، دفين مكناس، والمعروف اليوم باسم سيدي سعيد من طوف سكان الحضرة الإسماعيلية، كانت له صلات وطيدة بأمير البلدة في زمانه "... محمد بن السلطان أبي

العباس أحمد (الوطاسي)، لما استوزره أبوه وولاه على مكناسة". وكان الأمراء الوطاسيون، وغيرهـــم من خدام المخزن الوطاسي يقدرون ويحترمون "(...) حرم زاويته، حتى أن الذي يفعل ما عساه أن يفعل، ويلجأ إلى ساحة الزاوية فلا يتبعه أحد..." راجع: ـ م. ابن عسكر، دوحة الناشر...، مصدر سابق، ص. 77 – 78. – عبد الرحمن الفاسي، ابتهاج القلوب...، مخطوط سابق، ص. 58. ومما سجله محمد المهدي الفاسي، من جهته، عن سيدي سعيد إشارته إلى أنه ربما "... استودع عنده أمـــراء الدولـــة الوطاســية أمتعتهم" التي طالبه بها محمد الشيخ السعدي، على غرار أرباب زوايا الشمال، لما وحد المغرب ، ممتـع الأسماع...، مصدر سابق، ص. 91.

20) – A. Cour, L'Etablissement des Dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la Régence d'Alger (1508 – 1830),-Ernest Lerous Editeur, Paris, 1904), p.74 – 78.

21) ـ عكس زروقيي الجنوب الذين لم يخضعوا أبدا للنفوذ الوطاسي، وكانوا من المساهمين،كغيرهم من أولياء الجنوب، في قيام الحركة السعدية.راجع التفاصيل في رسالتنا عن:الأولياء في المغـــرب خـــلال القـــرن 16م،الفصل الأول من الباب الثالث.

22) ـ راجع التفاصيل في نفس المرجع، وخصوصا ص. 609.

23) ـ نفسه ، ص. 608.

24) ـ راجع : أحمد الجزار، كتاب في مناقب سيدي أحمد بن يوسف الملياني، م.خ.ع. ، الرباط ، رقم 1457د ، ص.19.

25) ـ محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع...، مصدر سابق، ص.17.

ـ عبد الخالق العروسي، المرقي في مناقب سيدي محمد الشرقي، م.خ.ع. ، الرباط، رقم 1911د ، ص. 70.

26) ـ راجع مثلا :

Marcel Bodin, « Note sur Sidi M'hammed-ben-cha'a, Patron des Beni-Zeroual d'Algérie », Bulletin de la société de Géographie et d'Archéologie de la province d'oran, Tome 51, 1930, p. 76.

27) ـ راجع التفاصيل في رسالتنا : الأولياء...، مرجع سابق، ص.609.

28) ـ عبد القادر الخلادي "الشيخ عبد الرحمن المجذوب: عصره وآثاره"، مجلة دعوة الحـــق، العـــدد 9 – 10 ، السنة11، جمادى الأولى 1398هـــ / 1968م ، ص. 123. دون أن يعني هذا أن جميع الباحثين كان لـــهم نفس الرأي، فأحدهم كتب بأن عبد الرحمن المجذوب كان معاديا لبني وطاس. راجع: محمد بلمزوقيـــة، "جهاد بعض متصوفة المغرب"، مقال بجريدة الاتحاد الاشتراكي، العـــدد 1472، 16 غشــــت 1987م ، ص. 3 ، عمود 2.

29) ـ ابتهاج القلوب...، مصدر سابق.

30) ـ عبد القادر الخلادي ، الشيخ عبد الرحمن...، مقالة سابقة، ص. 125.

31) ـ راجع تفاصيل الصراع ومشاركة الفقهاء والصوفية فيه، في بحثنا : الأولياء ودورهم الاجتمـــاعي فـــي المغرب خلال القرن 16م، مرجع سابق، ص.601 وما بعدها.

32) ـ عبد القادر الخلادي، الشيخ عبد الرحمن....، مقالة سابقة، ص. 125.

33) ـ عبد القادر الخلادي ، الشيخ عبد الرحمن...، مقالة سابقة، ص. 125.

34) ـ نفس المرجع .

35) ـ باستثناء مقتل الونشريسي أثناء حصار المدينة. ولم يكن قتله بأمر من السلطان. راجـــع: م. الوفرانـــي، نزهة الحادي...، مصدر سابق، ص. 33.

36) ـ راجع التفاصيل في رسالتنا عن الأولياء في القرن 16م، مرجع سابق، ص. 657 – 658.

37) ـ م. الوفراني ، نزهة الحادي...، مصدر سابق، ص. 32.

38) ـ محمد بن عسكر ، دوحة الناشر ... مصدر سابق، ص. 82.

39) ـ راجع : محمد بن إبراهيم الخياطي، جواهر السماط في ذكر مناقب سيدي عبد الله الخياط، (م.خ.هـــــ.، الرباط، رقم 1185د)، ص. 67 ، 60 ب. محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمـــن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، (طبعة حجرية بفاس، 1318هـــ / 1900م، ج1)، ص. 229.

40) ـ راجع : عبد الرحمن الفاسي، ابتهاج...، مخطوط سابق، ص. 26 – 27 – 28. ومن ذلك، مثلا ، ما رواه صاحب الابتهاج أيضا (ص.40)، حيث قال :"(...) كان (المجذوب) يوما بـــالقصر (الكبيـــر)، فمر على موضع حاكم البلد، وكان مجلسه بالسوق الكبير، فرآه، فقال لبعض أصحابه: ادع ذلك الطرمون نسخر منه، فقال له : يا مرابط أتشرب شيئا من الخمر ؟...". وفي يـــوم آخـــر ضربـــه الحاكم" وأمر أن يرقص بالأقدام..." (نفس المصدر، ص. 41).

41) — محمد المهدي الفاسي ، ممتع الأسماع...، مخطوط سابق ، ص. 116.

42) – H. de Castries, Les Gnomes de Sidi Abder – Rahmane El majdoub, (Paris, 1896), p. 34.

43) — راجع المقالة التي نشرناها بالاشتراك مع سعيدة الأشهب، تحت عنوان : "عبـــد الرحمـــن المجـــذوب، شخصيته وآثاره وتاريخ زاويته"، مجلة كلية الآداب، الجديدة، (العدد الأول، 1993) ، ص. 130 – 131.

44) — عبد الرحمن الفاسي، ابتهاج...، مصدر سابق، ص. 38.

45) — راجع تفاصيل مهمة عن ثورة الناصر بن الغالب بالله عند : محمد مزين، فاس وباديتها، مســـاهمة فـــي تاريخ المغرب السعدي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1986 ، جزء 1 ، ص. 183 وما بعدها.

46) — يقصد والده الشيخ الشهير أبا عبد الله محمد بن علي بن ريسون، شيخ الزاوية الريسونية في تـــاصروت بحوز جبل العلم من غمارة، المسماة بالزاوية الريسونية. المتوفى سنة 1018هـــ /1609م. راجع ترجمتـــه عند ولد : الحسن بن محمـــد بن علي بن ريسون، فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالـــد، مخطـــوط بالخزانة العامة بالربـــاط، رقـــم 2286ك ، ضمن مجموع، ص. 116 – 156.

47) — نفس المصدر ، ص. 152.

48) — من المعلوم أن ثورة الناصر انطلق من مدينة مليليـــة في 28 شعبان 1003هـــ / ماي 1599م، بإيعـــاز من إسبانيا.

49) — محمد الوفراني ، نزهة...مصدر سابق، ص. 79.– محمد مزين، فاس وباديتها...،م . س.،ج.1،ص.179 وما بعدها

50) — هذا القول ذكر محمد الوفراني تعليقا منه على رواية ذات صلة قوية بالموضوع، مفادها: أن الشيخ أبـــا الحسن علي بن منصور المدعو أبو الشكاوي، نزيل مدينة شالة ودفينها (ت.1004هـــ/1595م)"(...) كان سائرا مع أصحابه على بغلة، فقال لهم : يا فقراء أتسمعون ما تقول بغلتي، إنها تصيح بالنصر لمـــولاي الناصر، وكذلك الحجر والشجر"(نزهة الحادي...مصدر سابق، ص. 101). وجاء في المرقـــي لعبـــد الخالق العروسي قوله "(...) لما قام على السلطان المنصور ابن أخيه الناصر، قال سيدي أحمد بن أبـــي القاسم الزمراني ، نزيل الصومعة، قال: إن الناصر يدخل تادلا، يعني دخول الملك". راجع : المرقي في مناقب سيدي (محمد) بوعبيد الشرقي،م.خ.ع.، الرباط، رقم 1911د ، ص. 323. وتدل، هذه الأقـــوال، ولاشك، على الصد الكبير الذي خلفته ثورة الناصر، والشعبية التي أكسبتها تلك الثورة. وحسبنا علما هنا أن الشيخ أحمد بن أبي القاسم الزمراني الصومعي(ت.1013هـــ / 1604م)، أرغمـــه الســـلطان أحمـــد المنصور، بعد هزمه للناصر، على إخلاء زاويتـــه في الصومعـــة (بني ملال حاليا)، وألزمه بالمقام في مدينة مراكش. راجع: نزهة الحادي...مصدر سابق، ص. 101.

51) — الحسن بن ريسون، فتح التأييد...، مصدر سابق، ص. 101.

52) — عبد القادر العافية، "الشيخ القاضي أبو عبد الله بن عرضون"، مجلة دعوة الحق، العدد العاشر، السنة 18 نونبر – دجنبر 1977 ، ص.31.

53) — م. الوفراني، نزهى الحادي...، مصدر سابق، ص. 17.

54) — راجع نماذج أخرى، ومناقشتنا لموقف هذه الفئة في رسالتنا: الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي فـــي المغرب خلال القرن 16م...مرجع سابق ،ن ص. 737 – 738.

55) — فاس وباديتها...، مرجع سابق، ج. ، ص. 187 وما بعدها.

56) — مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمدارتية، نشرة جورج كولان، الرباط، المطبعة الجديدة 1353هـــ / 1934م، ص. 65.

57) — راجع التفاصيل في رسالتنا: الأولياء...، مرجع سابق، الفصل الثاني من الباب الثالث.